المحاضرة الثانية عشر: المواطنة التنظيمية

مقدمة:

المواطنة من القضايا الحديثة التي شغلت الباحثين، حيث تعتبر من أهم عوامل تطور المجتمعات وانسجامها، من خلال إكساب الفرد العضوية في المجتمع، وتنمية الدور الغير رسمي لديه فيكون سببا في تحسين سلوكه ورفع الأداء والالتزام بالواجبات لديه، والمواطنة هي اللبنة الأولى في بناء شخصية الفرد، وتأكيد ذاته، وهويته الثقافية، والسياسية، وتكيفه الايجابي مع ظروف الحياة لأداء دوره الحضاري المنشود.(**الكواري، ٢٠٠٤**)

ويرى العوامرة(٢٠١٤) أن المواطنة تشكل الأساس الصلب للبنية الاجتماعية، والثقافية، والسياسية للمجتمع، والتي تشكل خط الدفاع الأول في مواجهة التفكك، وعدم الانضباط الاجتماعي، وهي أداة تحصين اجتماعي، ووطني للفرد داخل المجتمع، وبالتالي فضعف المواطنة يعد مهددا أمنيا للأمن، والسلام الاجتماعي في أي مجتمع، أما حسب رأي مازن (٢٠٠٤) فللمواطنة دور أساسي في تعديل السلوك، ورفع مستوى الالتزام لدى الأفراد، ومن ضمن أبرز المتغيرات التي أخذت الدراسات السلوكية تسلط الأضواء عليها الالتزام، نظرا للفوائد المتعددة التي تبين أنه يحققها، حيث أنه عنصر جوهري في فهم سلوكيات الأفراد داخل المحيط وتفسيرها، وعلى رأي صادق(٢٠٠٠) يحدث الالتزام بشكل عام عن عملية التماثل، والتجانس بين قيم الفرد، وأهدافه مع قيم، وأهداف العمل، وعلى بذل الأفراد لجهود إضافية . معنوية كانت أو جسدية ـ لتحقيق أهداف المنظمات وإنجاحها، ويرى العزيز(٢٠١٠) أن رفع درجة الالتزام تعود دائما بالفائدة العامة للفرد والمجتمع، ذلك أن من الدراسات وجدت أن الفرد الذي يتمتع بالتزام مرتفع يكون احتمال تعرضه للأذى جد ضئيل.

١-١ – مفهوم المواطنة:

المواطنة في اللغة مشتقة من كلمة الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان والجمع أوطان، ويقال وطن بالمكان، وأوطن به أي أقام أوطنه اتخذه وطنا، وأوطن فلان ارض كذا، أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه.

والمواطنة في الاصطلاح تشير على انتماء الإنسان إلى الدولة التي ولد فيها أو هاجر إليها، وخضوعه للقوانين الصادرة عنها، وتمتعه بشكل متساو مع بقية المواطنين بالحقوق، والتزامه بأداء الواجبات، وهي بذلك تمثل العلاقة بين الفرد، والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة.

وهناك من الباحثين من تناول المواطنة على أنها مفهوم يشمل عدة أبعاد: سياسية، ومدنية، واجتماعية، وبيئية، حيث عبر مارشال(١٩٩٤) عن هذه الرؤية في دراسته المعنونة بـ "المواطنة والطبقة الاجتماعية" حيث قام بتعريف المواطنة

بأنها المكانة الممنوحة للذين يتمتعون بالعضوية الكاملة في الجماعة، وأن جميع من يتمتعون بهذه المكانة هم متساوون من ناحية الحقوق والواجبات.

وتعد المواطنة من الموضوعات الهامة التي شغلت وما تزال تشغل العديد من علماء الاجتماع والسياسة، ومما ساعد على المزيد من الاهتمام بها ما يشهده العالم من اهتمام بمسألة نشر الديمقراطية في دول العالم، والدعوة إلى العولمة من جهة، ومن جهة أخرى موجات العنف، والصراعات الدموية التي اجتاحت كثيرا من دول العالم، والقائمة على أساس التفرقة العنصرية، والعرقية أو المذهبية بين أبناء الوطن الواحد، وعند الحديث عن رؤية الإسلام للمواطنة فيرى عمارة(2005) على أنه حين اكتفت مذاهب، وفلسفات تحديد حدود الوطن بجغرافية الأقاليم، أو العرق، أو اللغة، فإن الإسلام قد وحد ديار الإسلام بالعقيدة والشريعة، رغم التمايز في القبائل، والشعوب، والأوطان، والأقوام فاجتمعت في منظومته كل من العالمية، والأممية مع الوطنيات والقوميات، دونما تناقض أو تعارض أو عداء، وهذه الحقيقة في علاقة الإسلام بالوطنية هي التي جعلت الوطن، والوطنية المقام العالي في ظل الانتماء الإسلامي، الذي لا يقف عند حدود وطن بعينه، فالقرآن الكريم يتحدث عن حب الإنسان لوطنه كمعادل، وقرين لحب هذا الإنسان للحياة. (**زمزم، ٢٠١٦، ص٦١**)

١-٢ – مفهوم قيم المواطنة:

المواطنة سلوك تطوعي حضاري اتجاه أفراد المجتمع الآخرين، وهذا السلوك تترجمه مجموعة من القيم الاجتماعية المتمثلة في الانتماء، والولاء، والالتزام بالواجبات، والحقوق، بالإضافة للمشاركة الاجتماعية، ومن ثم فإن قيم المواطنة هي الكل المركب لنواحي السلوك الإنساني الإيجابي اتجاه المجتمع وأفراده.

١- ٣- قيم المواطنة:

بعد العرض السابق لمفهومي القيم، والمواطنة يمكن القول بأن قيم المواطنة هي مجموعة القيم التي تعكس الشعور بالهوية الوطنية، وتساهم في إعداد الفرد تجاه المشاركة السياسية داخل المجتمع، والمرتبطة بالمواطنة الصالحة، وشعور الفرد بالولاء لوطنه، واعتزازه بالانتماء إليه، واستعداده للتضحية من أجل الوطن، وإقباله طواعية على المشاركة في أنشطة، وإجراءات، وأعمال تستهدف المصلحة العامة. (**الساعاتي، 1999**)

فقيم المواطنة كما عرفها مبارك(2008) أنها كل ما ثبت، ولم يتغير في الوطن، كالدين، واللغة، والتاريخ، والمبادئ التي تؤمن بها الأمة، وكل ما له قيمة في هذا الوطن، بمعنى كل ما له ثبات، ودوام فهو من قيم المواطنة، ومن أبرز قيم المواطنة في القرن الحادي والعشرين ما يلي:

أ- قيم المساواة والعدل:

تعد المساواة من القيم الأساسية للمواطنة، وهي من المرتكزات الجوهرية للمواطنة في الدولة المتقدمة، حيث تتيح للأفراد التمتع بحقوقهم، والقيام بواجباتهم، أي يجب أن يتمتع أفراد المجتمع الواحد بحقوق، وواجبات متساوية من حيث الجنسية، وفرص التعليم والتوظيف، والمعاملة المتساوية أمام القانون، والمساواة في الدخل، والأجور على أساس المؤهلات، والخبرات، وقيمة العدل مرتبطة بقيمة المساواة وهي تسبقها، فلا يمكن تحقيق المساواة إلا من خلال تحقيق العدل بين الأفراد، فمن خلال المساواة في الحقوق، والواجبات بين المواطنين يسود المجتمع قيمة العدل ليتساوون جميعاً أمام القانون. (**جرار، 2011**)

ب- قيم الانتماء والولاء:

– قيم الانتماء: تمثل قيمة الانتماء السلوك والعمل الجاد من أجل صالح الوطن، والتفاعل مع جميع أفراد المجتمع على اختلاف اعتقاداتهم وتطلعاتهم، وهو سلوك يرمي إلى معنى واحد من حيث العطاء، والارتقاء، والخدمة الخالصة للوطن والشعب، ويمثل الانتماء شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس، وإخلاص للارتقاء بوطنه، وللدفاع عنه، ومن مقتضياته أن يفتخر الفرد بوطنه فالانتماء هو إحساس إيجابي تجاه الوطن.

وللانتماء عدة أبعاد يمكن إجمالها في الأبعاد التالية:

١- الهوية؛ وتتمثل في وجود الفرد، ويسعى الانتماء إلى توطيدها.

٢- الجماعية؛ وتشتمل على تعاون، وتكافل، وتماسك الأفراد في المجتمع الواحد، وهي بذلك تعزز ميل الأفراد إلى المحبة، والتفاعل المتبادل.

٣- الولاء؛ وهو جوهر الالتزام، ويدعم الهوية الذاتية من جهة، ويقوي الجماعية بين الأفراد من جهة أخرى.

٤- الالتزام؛ ويتضمن التمسك بالنظم، والمعايير الاجتماعية بما فيها الالتزام بمعايير الجماعة، وتجنب النزاع.

٥- الديمقراطية؛ وتمثل أساليب التفكير، والقيادة، وتعبر عن إيمان الفرد بعناصر ثلاثة هي: تقدير قدرات الفرد وإمكاناته، حاجة الفرد إلى التفاهم، والتعاون مع الآخرين، وإتباع الأسلوب العلمي في التفكير.

– قيم الولاء: تعد قيمة الولاء اشمل، وأوسع من الانتماء إذ تتضمن قيمة الولاء في مفهومها الواسع الانتماء، فالانتماء لا يتضمن بالضرورة الولاء، وقد يمتزج مفهوم الولاء مع مفهوم الانتماء حتى يصبح من الصعب الفصل بينهما، فالولاء يعبر عن الصدق في الانتماء، ولا يولد مع الإنسان، وإنما يكتسبه بالتنشئة الاجتماعية، والتربوية من مجتمعه.(**الحبيب، 2005**)

فالولاء صفة أساسية للالتزام، ويعمل على تقوية هوية الفرد الذاتية، ويرمي إلى تأييد الفرد لجماعته ويعكس مدى انتمائه لهذه الجماعة، ويعمل الولاء على تعميق اهتمام الفرد بحاجات أفراد الجماعة، ويهدف إلى حمايتها.

وتتمثل بعض المظاهر العامة للسلوك الدال على قيمة الولاء كقيمة من قيم المواطنة بما يلي:

١- المشاركة في المناسبات، والأعياد الوطنية، والمحافظة على التراث الوطني.

العمل على رعاية الممتلكات العامة، والمحافظة عليها، وحسن استخدامها.

٢- تطبيق الأنماط، والسلوكيات التي ترشد الاستهلاك، والالتزام بالسلوكيات المهذبة في التعامل بين الأفراد.

٣- احترام القانون، والالتزام به، والمحافظة على البيئة، وتشجيع الصناعات الوطنية.

٤- التعرف على التحديات التي تواجه الوطن، ومحاولة المساهمة في تقديم الحلول المناسبة.

٥- الإيمان بالوحدة الوطنية، والتحرر من كافة أشكال التعصب.

- قيم المشاركة السياسية: يعرِّف الزيات(2003) المشاركة السياسية على أنها "عملية طوعية رسمية تنم عن سلوك منظم مشروع، ومتواصل، يعبر عن اتجاه عقلاني رشيد ينبع عن إدراك عميق لحقوق المواطنة وواجباتها، من خلال ما يباشره المواطنون من أدوار فعالة، ومؤثرة في الحياة السياسية".

وتمثل قيمة المشاركة التطبيق العملي للولاء والانتماء، حيث لابد من المشاركة الحقيقية لأفراد المجتمع في صنع القرار في المجتمعات الديمقراطية، من خلال الانتخابات أو المشاركة في الفعاليات الوطنية، والسياسية ليتحمل أفراد المجتمع المسؤولية بجانب الدولة في مواجهة الأزمات، والتحديات التي تواجه المجتمع، والدولة في مختلف المجالات.

- الديمقراطية: تعد المواطنة مفتاح لفهم الديمقراطية فقد أكد باتريك(1999) على المدخل الديمقراطي للمواطنة من خلال احترام المواطنين لحقوق الآخرين، والدفاع عن حقوقهم، وأن يمارس المواطنين حقوقهم بحرية، ويرى باتريك أن ممارسة هذه الحقوق تتمثل في: المهارات التفاعلية، وتشمل : مهارات الاتصال والتعاون التي يحتاجها الفرد لممارسة العمل المدني والسياسي، ومهارات المراقبة، وأخيراً مهارات التأثير، والتي تتضمن المهارات التي يحتاجها الفرد للتأثير في نتائج الحياة السياسية والمدنية. **(زمزم، ٢٠١٦، ص٦٨)**

١-٤- مكونات المواطنة:

للمواطنة عناصر ومكونات أساسية ينبغي أن تتحقق حتى تحقق المواطنة وهذه المكونات هي:

أ - الانتماء: الانتماء كمفهوم ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية، ويعني شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس للارتقاء بوطنه، والدفاع عنه، أي انه إحساس تجاه أمر معين يبعث على الولاء له، وأن يفتخر الفرد بالوطن، والدفاع عنه، والحرص على سلامته وكل رمزياته نشيدا، وعلما، ولغة إلى درجة التضحية في سبيله.

ويعرف الانتماء كذلك بأنه "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من الالتزام بمعايير، وقواعد هذا الإطار، وبنصرته، والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية، والفكرية الأخرى".

ويرى توماس هوبز ويورغن هابرماس في كتابه "الفعل التواصلي" يفترض الانتماء أنه يشكل قيمة مشتركة بين الأفراد انطلاقا منها سيتحقق بناء شأن الجماعة، وبالنسبة له لا تتمثل في شعور الوطنية المرتبط بالضرورة بالأمة، بل تتجاوز إلى الارتباط بمؤسسات الدولة، وقيم اجتماعية معينة".(**هريرة،٢٠١٥،ص٥١**)

أي أن مسالة الانتماء للوطن ليس مجرد مفاهيم مجردة، وإنما هي في الأصل خبرة معاشة بين الوطن والمواطن، فعندما يستشعر المواطن من خلال خبرته أنه يعيش في ظل وطن يحميه، ويافع عنه وعن هويته، ويحقق له الحد الأدنى من الرعاية، والاهتمام مع العدل والكفاية، في هذه الحالة تتكون وترسخ لديهم قيم الانتماء لهذا الوطن.(**الكواري، ٢٠٠٤، ص٣٩**)

فالفرد لا ينتمي إلا لمجتمع يشعر فيه بالزمالة، ويحقق بين أفراده حاجاته ومطالبه عن طريق علاقات تقوم على لغة مشتركة، وعادات وتقاليد مشتركة، وتراث ثقافي مشترك يصب في بوتقة واحدة، وهي خدمة المصلحة العامة للمجتمع، والوطن ككل.(**عفيفي، ٢٠٠٣، ص٣٣**)

ب– الحقوق: إن ممارسة مبدأ المواطنة على أرض الواقع يتطلب توفير حد أدنى من الحقوق للمواطن حتى يكون للمواطنة معنى ويتحقق بموجبها انتماء المواطن، وولاؤه لوطنه، وتفاعله الإيجابي مع مواطنته، نتيجة القدرة على المشاركة الفعلية، والشعور بالإنصاف وارتفاع الروح الوطنية لديه عند أداء واجباته أو الدفاع عن وطنه، ودفع الضرائب، والمساهمة في صنع الحضارة الإنسانية".(**مرجع سابق، ص٣٩**)

وعليه فمفهوم المواطنة يتضمن حقوقا يتمتع بها جميع المواطنين، وهي في نفس الوقت واجبات لأفراد آخرين مسؤولون أمام المجتمع العام على احترام وصيانة مبادئها، ويمكن إيرادها على الشكل الأتي:

ت– الحرية: وتعني القدرة على الاختيار بين عدة أشياء، وحرية التصرف، والعيش، والسلوك حسب توجيه الإرادة العاقلة، دون الإضرار بالغير أو دون الخضوع لأي ضغط إلا ما تفرضه القوانين الضرورية وواجبات الحياة الاجتماعية.

وقد أشار جون لوك أن الحق في الحرية له جانبان، الجانب الأول هو الحرية العامة للعمل، والتي تعني حق كل إنسان بأن يتصرف كيفما يشاء مادام ذلك ليس ممنوعا حسب القانون أو العُرف.

أما الجانب الثاني فيشمل حريات خاصة ضرورية لصيانة كرامة الإنسان ورفاهية المجتمع مثل: حرية التفكير، والرأي، والحريات التي تضمن حرية التعبير عن الرأي، وحرية النقد، وحرية العلم.

ث– العدالة: وهي المبدأ القائل بتساوي الأفراد بعضهم ببعض في فرص الحياة الاجتماعية ، وتنطلق العدالة من مفهوم "أن الأفراد أمام القانون سواء دون تمييز بينهم بسبب الأصل أو الجنس أو الدين أو اللغة، أو المركز الاجتماعي في اكتساب الحقوق وممارستها، والتحمل بالالتزامات وأدائها"، كونها السبيل الوحيد لتحقيق الانسجام الاجتماعي والشعور بالتآخي والانتماء للوطن.

ج- تكافؤ الفرص: تستند وجهة النظر هذه على الاحترام المتبادل بين الأفراد في التعبير عن مواقفهم الاجتماعية، وإشراك جميع فئات المجتمع من الاستفادة بكافة مقومات المجتمع، ما من شأنه أن يزيد من إمكانيات العطاء، والمشاركة بكل إخلاص من قبل المواطنين، وتمكنهم من الوفاء بما تتطلبه الفرص التي يهيئها المجتمع لهم عبر مختلف مجالات المجتمع الخدمية كالتعليم ، والرعاية وفرص العمل ...إلخ، وذلك عبر الإسهام في التنمية الوطنية، والمبادرة إلى الأعمال الإغاثية، وعدم ممارسة ما يسيء إلى تقاليد ورموز الوطن.(**فؤاد، ٢٠٠٢، ص١٧**)

حيث يؤكد روسو . أن المجتمع المدني . يمثل "إيجاد شكل من التجمع يدفع، ويحمي الفرد، وممتلكات كل مشترك فيه، وبواسطته يتحد كل فرد مع الآخرين بحيث لا يخضع إلا لذاته ويبقى حرا أكثر مما كان عليه من قبل".

ح- الواجبات: يرى بعض الباحثين أن المواطنة ما هي إلا المشاركة النشطة في جماعة أو عدد من الجماعات، وتتضمن الإحساس بالارتباط، والولاء لمفهوم الدولة أو النظام، وتقوم على فكرة الانتماء، والقيم المشتركة، وهو ما يعني أن المواطنة هي عضوية نشطة في مجتمع ضمن إطار من الحقوق، وكثير من الواجبات، والمسؤوليات التي يحددها المجتمع والقانون، وتختلف الدول بعضها عن بعض في الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فبعض الدول ترى أن المشاركة السياسية في الدولة هي مجمل الواجبات، وأعلاها درجة، بينما يرى البعض الآخر أن الواجبات لا تقف عند هذا فقط بل تشمل السلوك الحضاري، وعدم خيانة الوطن.(**هريرة، ٢٠١٥، ص٥٢**)

خاتمة

يعتبر سلوك المواطنة من أهم المفاهيم الحديثة، التي اهتمت بفهم سلوك الأفراد داخل المجتمعات بصفة عامة، حيث يمكن عن طريقها حل الكثير من المشكلات السلوكية من خلال تنميتها لدى الأفراد، للوصول إلى أعلى درجات الأداء، والرضا، والالتزام، نظرا لما تقدمه من سلوكات إضافية، ومبتكرة، وتطوعية.

قائمة المراجع:

- جرار، أماني غازي .(2011). **المواطنة العالمية**. الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع عمان.
- الحبيب، فهد إبراهيم. (2005). **تربية – الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة**. المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود الرياض.
- الساعاتي، حسن .(1999). **نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي في القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن**. المملكة العربية السعودية: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب الرياض.
- عفيفي، محمد الهادي.(٢٠٠٣). **التربية والتغير الثقافي**. مصر:مكتبة الأنجلو المصرية.
- فؤاد، عبد المنعم.(٢٠٠٢). **مبدأ المساواة في الإسلام** .مصر: مطبعة المكتب العربي الحديث الإسكندرية.
- المعمري، سيف بناصر.(٢٠٠٦). **تربية المواطنة توجهات عالمية في إعداد المواطن الصالح**.عمان: مكتبة الجيل الواعد مسقط.

– صادق، محمد.(٢٠٠٠). **العلاقات بين الولاء التنظيمي والاتجاهات نحو العمل دراسة مقارنة بين جامعتي قطر والإمارات العربية المتحدة**. مجلة البحث في التربية وعلم النفس. **المجلد١٤(٢)**.

– الكواري، علي خليفة.(٢٠٠٤).**دراسة حول مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية** . سلسلة كتب المستقبل العربي حول الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي ببيروت . (**٣٠**) . ص 93.

– مازن، فارس رشيد.(٢٠٠٤). **الدعم التنظيمي المدرك والأبعاد المتعددة للولاء التنظيمي**. المجلة العربية للعلوم الإدارية بالكويت. **مجلد١١(٩)**. ١-٣٦.

– معمري، حمزة وبن زاهي، منصور.(٢٠١٤). **سلوك المواطنة التنظيمية كأداة للفعالية التنظيمية في المنظمات الحديثة**. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة قاصدي مرباح ورقلة.(**١٤**)

– زمزم، علي.(٢٠١٦). **مهددات قيم المواطنة وعلاقتها بالانحراف السلوكي** . رسالة الدكتوراه في علم الجريمة . قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة: الأردن.

– هريرة،أبو الفتوح.(٢٠٠٥). **قيم المواطنة وعلاقتها بتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطالب الجامعي**. رسالة لنيل شهادة الدكتوراه. كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة : الجزائر .